@ 432 @ عذابي هو العذاب الأليم) ^ يقول تعالى : ^ (إن المتقين) ^ الذين اتقوا طاعة الشيطان ، وما يدعوهم إليه ، من جميع الذنوب والعصيان ^ (في جنات وعيون) ^ قد احتوت على جميع الأشجار ، وأينعت فيها جميع الثمار اللذيذة ، في جميع الأوقات . ويقال لهم حال دخولها : ^ (ادخلوها بسلام آمنين) ^ من الموت ، والنوم والنصب ، واللغوب ، وانقطاع شيء من النعيم ، الذي هم فيه أو نقصانه ، ومن المرض ، والحزن ، والهم ، وسائر المكدرات ، ^ (ونزعنا ما في صدورهم من غل) ^ فتبقى قلوبهم سالمة ، من كل غل وحسد ، متصافية متحابة ^ (إخوانا على سرر متقابلين) ^ . دل ذلك على تزاورهم ، واجتماعهم ، وحسن أدبهم فيما بينهم ، في كون كل منهم مقابلا للآخر ، لا مستدبرا له ، متكئين على تلك السرر المزينة ، بالفرش واللؤلؤ ، وأنواع الجواهر . ^ (لا يمسهم فيها نصب) ^ لا ظاهر ولا باطن ، وذلك لأن ا ينشئهم نشأة وحياة كاملة ، لا تقبل شيئا من الآفات ، ^ (وما هم منها بمخرجين) ^ على سائر الأوقات . ولما ذكر ما يوجب الرغبة والرهبة ، من مفعولات ا ، من الجنة ، والنار ، ذكر ما يوجب ذلك من أوصافه تعالى فقال : ^ (نبىء عبادي) ^ أي : أخبرهم خبرا جازما ، مؤيدا بالأدلة ، ^ (إني أنا الغفور الرحيم) ^ فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته ومغفرته ، سعوا بالأسباب الموصلة لهم إلى رحمته ، وأقلعوا عن الذنوب ، وتابوا منها ، لينالوا مغفرته . ومع هذا ، فلا ينبغي أن يتمادى بهم الرجاء إلى حال الأمن والإدلال ، فنبئهم ^ (أن عذابي هو العذاب الأليم) ^ أي : لا عذاب في الحقيقة ، إلا عذاب ا ، الذي لا يقدر قدره ، ولا يبلغ كنهه ، نعوذ به من عذابه ، فإنهم إذا عرفوا أنه ^ (لا يعذب عذابه أحد * ولا يوثق وثاقه أحد) ^ حذروا ، وبعدوا عن كل سبب يوجب لهم العقاب ، فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائما ، بين الخوف والرجاء ، والرغبة والرهبة ، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته ، وجوده وإحسانه ، أحدث له ذلك الرجاء والرغبة ، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه ، أحدث له الخوف والرهبة والإقلاع عنها . ^ (ونبئهم عن ضيف إبراهيم * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون * قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم * قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون * قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين * قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضآلون) ^ يقول تعالى لنبيه محمد صلى ا عليه وسلم : ^ (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ^ ، أي : عن تلك القصة العجيبة ، فإن في قصك عليهم أنباء الرسل ، وما جرى لهم ، ما يوجب لهم العبرة ، والاقتداء بهم ، خصوصا ، إبراهيم الخليل ، الذي أمرنا ا أن نتبع ملته ، وضيفه هم : الملائكة الكرام ، أكرمه

ا بأن جعلهم أضيافه . ^ (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) ^ أي : سلموا عليه ، فرد عليهم ^ (قال : إنا منكم وجلون) ^ أي : خائفون ، لأنه لما دخلوا عليه ، وحسبهم ضيوفا ، ذهب مسرعا إلى بيته ، فأحضر لهم ضيافتهم ، عجلا حنيذا فقدمه إليهم ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ، خاف منهم أن يكونوا لصوصا أو نحوهم . ^ (قالوا) ! 2 2 ! (لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم) ^ وهو : إسحق عليه الصلاة والسلام ، تضمنت هذه البشارة ، بأنه ذكر لا أنثى ، عليم ، أي : كثير العلم ، وفي الآية الأخرى ^ (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) ^ . قال لهم متعجبا من هذه البشارة : ^ (أبشرتموني) ^ بالولد ^ (على أن مسني الكبر) ^ وصار نوع إياس منه ^ (فبم تبشرون) ^ أي : على أي وجه تبشرون وقد عدمت الأسباب ؟ ^ (قالوا بشرناك بالحق) ^ الذي لا شك فيه ، لأن ا على كل شيء قدير ، وأنتم بالخصوص يا أهل هذا البيت رحمة ا وبركاته عليكم ، فلا يستغرب فضل ا وإحسانه إليكم . ^ (فلا تكن من القانطين) ^ الذين يستبعدون وجود الخير ، بل لا تزال راجيا لفضل ا وإحسانه ، وبره وامتنانه ، فأجابهم إبراهيم بقوله : ^ (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) ^ الذين لا علم لهم بربهم ، وكمال اقتداره ، وأما من أنعم ا عليه بالهداية والعلم العظيم ، فلا سبيل إلى القنوط إليه ، لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق ، لرحمة ا ، شيئا كثيرا ، ثم لما بشروه بهذه البشارة ، عرف أنهم مرسلون لأمر مهم . ^ (قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنآ أرسلنآ إلى قوم مجرمين * إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين * إلا امرأته قدرنآ إنها لمن الغابرين * فلما جآء آل لوط المرسلون * قال إنكم قوم منكرون * قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون * وآتيناك بالحق وإنا لصادقون * فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم